المحاضرة الخامسة: اللسانيات الحديثة (سوسير):

مقدمة:

إنّ تناول اللسانيات الحديثة يعني الحديث عن عالم لا يخفى فضله في تأسيس كثير من المفاهيم النظرية التي ستنتشر فيما بعد ويستعملها كثير من علماء اللسانيات بعده هذا العالم هو فردينان دو سوسير صاحب كتاب "محاضرات في اللسانيات العامة"

أولا/ فردينان دو سوسير أب اللسانيات الحديثة:

 يعد فردينان دو سوسير زعيم مدرسة جنيف، وهو" لساني سويسري، ولد في جنيف عام (1857)، نشر عندما كان طالبا في ألمانيا مذكرة" حول النظام البدائي للصوائت في اللغات الهندوأوروبية" ثم أطروحته الموسومة ب " حالة الجر المطلق في اللغة السنسكريتية" عام (1881)، حاضر في مجال الدراسات المقارنة في فرنسا في المدرسة التطبيقية للدراسات العليا، ثم عاد إلى جنيف و حاضر بها بعد ذلك، توفي عام(1913)، من أهم كتبه:" محاضرات في اللسانيات العامة" وهو كتاب نشر بعد وفاته عام(1916)" ، و يعود فضل نشره إلى كل من شارل بالي(Charles Bally)، و ألبرت سيشهاي(Albert Sechehaye).

والملاحظة التي ندرجها هنا هي أن كثيرا من المفاهيم التي حملها هذا الكتاب كانت معروفة في الأوساط اللسانية قبله، لكن سوسير استطاع أن يقدمها منسقة شاملة وقد كانت متناثرة في آراء علماء آخرين، كما دعا إلى ضرورة اعتماد الوصف والتحليل المباشر للظواهر اللغوية في اللسانيات، فقدم نظريته في شكل ثنائيات.

ثانيا/ ثنائيات فردينان دو سوسير:

 قدم سوسير أفكاره في شكل ثنائيات أهمها: الدال/ والمدلول، اللغة و/ الكلام، اللسانيات السانكرونية و/ اللسانيات الدياكرونية، العلاقات التركيبية؛ التوزيعية و/ العلاقات الاستبدالية، المكتوب و/ المنطوق.

وسنحاول أن نشرح أهمها:

1-الدال و/ المدلول: تحدث (فردينان دو سوسير) عن مفهوم الدليل اللساني (Le signe linguistique) على أنه " كيان نفسي ذو وجهين اثنين: الدال و/ المدلول، حيث إنّ الدال هو الصورة السمعية؛ التي ليست الصوت الفيزيائي المحض وإنّما الأصوات مع أثرها النفسي، والمدلول هو الصورة الذهنية التي يوحي بها الدال."

ويمكن أن نشرح هذه الثنائية اعتمادا على شرح سوسير لها في كتابه كالآتي:



الدليل اللساني (Le signe linguistique)

حيث تمثل الصورة السمعية؛ الدال(Signifiant)، وهو الحروف بترتيبها الموضح (ش+ج+ر+ة) مع أثرها النفسي، وهو ما يسميه(سوسير):" الصورة السمعية" ويقابل "المفهوم"؛ المدلول(Signifier)، وهو صورة الشجرة كما ترتسم في الذهن، حيث إنّ طبيعة الدال خطية زمنية، وطبيعة المدلول ذهنية، وإن كان كلاهما يخضع للعامل النفسي.

ومن خصائص الدليل اللساني عند سوسير أنّه:

- نفسي، ثنائي، اعتباطي (العلاقة بين الدال والمدلول غير مبررة أو معللة)، يلغي الذات والإيديولوجيا(المرجع).

2-اللغة و/الكلام:

يقدم(سوسير)أفكاره معتمدا مفهوم النظام، أي الاهتمام بالقانون العام الذي يحكم الظاهرة اللغوية، حيث عرف اللغة قائلا:" اللغة نظام من الأدلة اللسانية" أما الكلام فهو" الـتأدية الفردية للغة"، حيث إنّ طبيعته متغيرة، وأشكاله متعددة، بينما اللغة هي قانون عام تشترك فيه الجماعة اللسانية ينظم كلامها وسلوكها، وقد فرق (سوسير) بينها وبين اللسان متسائلا في كتابه(CLG):" ما اللغة؟: إنّها، بالنسبة لنا تختلط مع اللسان، فما هي إلّا جزء محدود وجوهري، من أجزائه، وهذا صحيح. إنّها، منتوج اجتماعي لملكة اللسان ومجموع تواضعات ضرورية تبناها الكيان الاجتماعي من أجل السماح بممارسة تلك الملكة عند الأفراد. واللسان في كليته؛ متعدد الصيغ غير متجانس، ويشمل مجالات عدة: فيزيائية، وسيكولوجية؛ نفسية، في الوقت نفسه. وهو ينتمي إلى مجالين الفردي والاجتماعي. كما أنّه لا يسمح بتصنيفه ضمن أي من أصناف الوقائع البشرية لأننا لا نعرف كيف نستخرج وحدته. بينما اللغة على خلاف ذلك، هي كل في حدّ ذاتها، ومبدأ تصنيف."

حيث للسان جانب اجتماعي هو اللغة، وجانب فردي هو الكلام؛ متباين من فرد إلى آخر، ما جعل (سوسير) يختار اللغة موضوعا للسانيات لأنها كلية تسعى للحفاظ على ثباتها الذي تصنعه سلطة الجماعة. لذلك اهتم (سوسير) باللغة وأجّل الاهتمام بالكلام لأنه متغير يصعب ضبط كل أشكاله، وملاحظتها وبناء قانون يحكمها.

 3-اللسانيات التزامنية؛ الآنية(السانكرونية)و/اللسانيات الزمنية؛ (الدياكرونية):

 تحدث (سوسير) عن نوعين من الدراسة اللسانية: دراسة تتناول اللغة في نظامها الداخلي، محاولة تفسير وشرح العلاقات الداخلية التي تشكل نظاما لا يحيل إلّا على نفسه وتسمى بـ: "اللسانيات التزامنية (Linguistique synchronique)، وتهتم بوصف اللغة في زمن ما، أو في زمن واحد لذلك تعرف باللسانيات الوصفية باعتبار المنهج، ونوع ثان من الدراسة يناول تطور اللغة عبر الزمن ويسمى ب" اللسانيات الزمنية (Linguistique diachronique)، التي تصف تطور نظام اللغة في مراحل مختلفة، لذلك تُعرف "باللسانيات التاريخية".

4-العلاقات التركيبية و/ العلاقات الاستبدالية:

إنّ نظم الكلام يقتضي ترتيب وحدات القول في سلسلة تخضع لعامل الزمن حيث لا يمكننا النطق بعنصرين في زمن واحد، و إنّما تتتالى الوحدات اللسانية زمنيا، وهذا ما يشكّل " العلاقات التركيبية" التي من خصائصها: أنّها زمنية، حضورية على المحور الأفقي، كما أنّ اختيار الوحدات اللسانية يخضع لتناسب الدلالة بين العناصر المدرجة على المحور الأفقي، وتناسب الوحدات المختارة مع موضوع الكلام، حيث يتم الاختيار على مستوى الذهن قبل أن تظهر الوحدات على مستوى التوزيع الأفقي، وتسمى عملية الاختيار على هذا المحور بـ" العلاقات الاستبدالية، التي من خصائصها أنها ذهنية، لا زمنية

ثالثا/اللسانيات والسيميولوجيا:

تحدث سوسير عن العلاقة بين اللسانيات والسيميولوجيا (La sémiologie) وصنفها داخلها بعدها تبحث في: الأدلة اللسانية في حين تبحث السيميولوجيا في: الأدلة اللسانية و/غير اللسانية، يقول: " يمكننا إذن تصور علم يدرس حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، وهو يشكل جانبا من علم النفس الاجتماعي، وبالتالي من علم النفس العام، إننا ندعوه بالسيميولوجيا (...) وما اللسانيات إلاّ جزء من هذا العلم العام." وبالتالي تكون اللسانيات فرعا عن هذا العلم الذي يبحث في تأويل الأدلة سواء كانت لسانية أو غير اللسانية، لأن مجال اللسانيات ينحصر في البحث في الأدلة اللسانية التي يقدمها سوسير ككيانات نفسية مما سمح له بتصنيف اللسانيات داخل علم النفس عموما.

خاتمة:

لقد سمحت أفكار سوسير بتوسيع دائرة اللسانيات وتحديد مجالها، كما أفاد كثير من العلماء من مصطلحات ومفاهيم سوسير سواء في مجال اللسانيات كأندري مارتيني، ولويس يلمسليف وجماعة براغ وغيرهم، أو في حقول ومجالات أخرى كالأنثروبولوجيا خاصة دراسات كلود ليفي شتراوس، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على عمق فكر سوسير اللساني أو السيميولوجي.